الآثار الاجتماعية لاستخدام الهاتف النقال من طرف المراهقين

دراسة ميدانية على عينة من المراهقين بولاية قسنطينة .

أ.فوزية بودريوة

جامعة جيجل

Résume ;

on a essayé par le biais de cette étude de savoir quel est l'impact social résultant de l'utilisation du téléphone mobile par les adolescent ,la catégorie la plus encline à l'utilisation et l'influence des innovations ,on s'est basé sur la méthode descriptive , et on 'a recueilli les données d' un groupe de 450 adolescents, l'étude a rèvèlè des effets positifs et d 'autres négatifs

ملخص :

تتطرق هذه الدراسة إلى البحث في الآثار الاجتماعية لاستخدام الهاتف النقال من طرف المراهقين ،وذلك باعتبارهم الفئة الأكثر إقبالا على استخدام المبتكرات والانبهار بها والتأثر بها. ولقد اعتمدت الباحثة فيها على المنهج الوصفي وعلى أداة الاستمارة في جمع البيانات على عينة قدرت ب 450 مراهقا متمدرسا بمرحلة التعليم الثانوي بولاية قسنطينة،ولقد توصلت الدراسة إلى وجود آثار اجتماعية إيجابية وأخرى سلبية للهاتف النقال على المراهقين .

مقدمة

تشهد المجتمعات المعاصرة في نهاية القرن العشرين وبداية القرن الواحد والعشرين ثورة تكنولوجية هائلة قفزت بالبشرية خطوات عملاقة نحو التقدم العلمي وفتحت أمامها الآفاق لتحقيق الكثير من الاكتشافات والسيطرة على الظواهر المختلفة .ولعل ابرز مظاهر هذه الثورة بروز وسائل اتصال حديثة تتسم بالتفاعلية حولت المجتمعات العالمية إلى قرية صغيرة،وقلبت الكثير من المفاهيم التقليدية للوجودالإنساني والحياة الاجتماعية للأفراد والمجتمعات .

ومن بين هذه الوسائل نجد وسيلة الهاتف النقال أو المحمول الذي شاع استخدامه لدى كل الفئات والأعمار،وتحول إلى وسيلة للتواصل الفعال والسريع ،وحدد أنماطا جديدة من العلاقات الاجتماعية في ظل مجتمعات تسارعت فيها وتيرة الحياة .ولم يشذ الفرد الجزائري عن هذه القاعدة ،حيث انتشرت هذه الوسيلة في المجتمع الجزائري بصورة سريعة ومتلاحقة ومواكبة لمختلف التطورات التكنولوجية التي شهدتها هذه الأداة ، فانتشرت شركات الهاتف المحمول وتعددت عروضها وراجت تجارتها وتحولت إلى أداة لا غنى عنها في كل مجالات الحياة الاجتماعية.فتحولت إلى وسيلة اتصال فاعل بين أفراد المجتمع الواحد بل وبين أفراد الأسرة النووية الواحدة ،حيث أصبح وسيلة الآباء للاطمئنان على أبنائهم أثناء تواجدهم خارج المنزل .

وكأي منتج تكنولوجي حديث لا يخلو استخدام هذه الوسيلة من آثار اجتماعية على مستخدميه،مما يساهم في إحداث تغيير ولو جزئي في أنماط العلاقات الاجتماعية والتفاعل الاجتماعي بين الأفراد والجماعات ،كما قد يؤثر في الكثير من القيم الأصيلة .

1ـ الإشكالية :

في ظل سيطرة وسائل الاتصال الحديثة على جميع جوانب الحياة الاجتماعية ومنها الهاتف النقال الذي أصبح وسيلة ضرورية لتوطيد الكثير من الاتصالات الاجتماعية في المجتمعات المعاصرة منها مجتمعنا الجزائري ،حيث أصبحت هذه الوسيلة في متناول الجميع دون استثناء وتحول امتلاكه واستخدامه إلى ضرورة اجتماعية ، ولكن بالمقابل مع ذلك أفرز استخدامه لدى نسبة لا يستهان بها من الأفراد في المجتمع الجزائري عواقب وخيمة حيث تحول إلى أداة للفساد الأخلاقي والاجتماعي باستعماله في ممارسة سلوكيات غير لائقة . ولعل شيوع هذه الممارسات في المجتمع الجزائري يؤثر أكثر مما يؤثر في فئة المراهقين لأن المراهقة هي المرحلة التي يكتسب فيها الفرد نموذج تنشئته الاجتماعية من المجتمع الذي يعيش فيه.ولهذا تهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن الآثار

الاجتماعية السلبية والإيجابية لاستخدام الهاتف النقال من طرف المراهقين في المجتمع الجزائري . محاولة الإجابة على التساؤل التالي : ماهي الآثار الاجتماعية لاستخدام الهاتف النقال على سلوك المراهق الجزائري ؟

2ـــ المفاهيم

أـــ مفهوم الهاتف النقال

_يسمى كذلك الهاتف المحمول أو الهاتف الخلوي أو الهاتف الجوال « وهو أحد أشكال أدوات الاتصال والذي يعتمد على الاتصال اللاسلكي عن طريق شبكة من أبراج البث الموزعة ضمن مساحة معينة ، أو بمعنى أخر هو عبارة عن جهاز اتصال صغير الحجم مربوط بشبكة للاتصالات اللاسلكية والرقمية تسمح ببث واستقبال الرسائل الصوتية والنصية والصور عن بعد بسرعة فائقة»(1)

التعريف الإجرائي : هو جهاز مطور عن الهاتف الثابت ،يشتغل عن طريق البث اللاسلكي يوفر إمكانية التواجد مع صاحبه أينما حل ، ويقدم عدة خدمات اتصالية في نفس الوقت ، ميزته أنه يوفر مزيدا من الحرية والخصوصية والشفافية لحامله .

ب ـــ مفهوم الأثر :

الأثر هو ذلك التغيير بالإيجاب أو بالسلب الذي يطرأ على سلوكيات الفرد ومواقفه وأفعاله ، والذي يترجم تغييرا في قيم مجتمعه ، من جراء ملكية واستخدام والتعرض لوسائل الاتصال الحديثة

ج ـــ مفهوم المراهقة :

يعرفها الأستاذ محمد عاطف غيث بأنها « فترة التحول الفيزيقي نحو النضج ، وتقع بين بداية سن النضوج وبداية مرحلة البلوغ ، ويحددها بعض علماء النفس عادة في سن الثانية عشر أو الثالثة عشر ، وتختلف الاتجاهات نحو المراهقة باختلاف الثقافات ،كما أن الأثر الاجتماعي والسيكولوجي للمراهقة يختلف أيضا طبقا لاختلاف الأنماط الثقافية و الاجتماعية .» (2).

3ـــ مزايا وعيوب الهاتف النقال

_كما هو متعارف عليه،فإن أي اختراع تكنولوجي حديث يضمن لمستخدميه مجموعة من الخدمات،وبالمقابل يخلف أيضا آثارا غير مرغوب فيها، والهاتف النقال تلك الوسيلة الاتصالية التي سيطرت على الحياة الاجتماعية في القرن الواحد والعشرين له مزايا كثيرة فهو قد تحول إلى وسيلة ذات تأثيرات سيكولوجية إيجابية في التخفيف من الشعور بالوحدة وتوفير المتعة الاجتماعية.كما أنه تحول إلى أداة تخزينية ومعرفية أقوى من الذاكرة البشرية،إذ«لم تصبح قدرة الإنسان فيما تستطيع ذاكرته البشرية المحدودة أن تحمله ولا عقله المقيد ..أن يتصدى له،بل أصبحت قدرته على النفاذ إلى مصادر المعلومات عندما يحتاجها أو على توفير الوسائل العملية لحل ما يصادفه أو يعرض عليه من المشكلات.وهكذا أصبح للإنسان رفيقان:كمبيوتر نقال وهاتف نقال الأول يحمل له ملفاته وبرامجه والثاني هو نافذته التي يطل منها على العالم حيثما كان محققا بذلك أقصى درجات الشفافية الجغرافية والمعلوماتية .» (3)

وعلى صعيد آخر سهل للفرد إجراء الكثير من الاتصالات متخطيا حدود الزمان والمكان.وتحول إلى سجل آلي يمكن من معرفة السيرة الذاتية للأفراد من خلال ما يتضمنه من تحديد معارفهم وعلاقاتهم،صورهم الشخصيةوالعائلية،وأخيرا نمط سلوكياتهم.وبالمقابل فإنه أدى إلى انتهاك خصوصية الأفراد بتصويرهم في وضعيات ومناسبات خاصة.كما أن إمكانية استعماله من قبل أشخاص غير مالكه يسبب ضررا نفسيا واجتماعيا له ،كما تحول إلى عبء اقتصادي على بعض الأفراد و الأسر .

4ـــ الآثار الإجتماعية للهاتف النقال

_كغيره من وسائل الاتصال الحديثة التي اكتسحت حياة الأفراد،وتحولت إلى ضرورة لا يمكن الاستغناء عنها،خلف الهاتف النقال مجموعة من الآثار على الحياة الاجتماعية والنفسية للأفراد المستخدمين له . «يرى Howard Rheingold أن الهواتف المحمولة كان لها تأثير عميق في الثقافات والمجتمعات التي تستخدم فيها،كما أدى إلى خلق ما يسميه ب" الغوغاء الذكية .» (4) .ويقصد الكاتب بالغوغاء الذكية استخدام الناس للهواتف النقالة في كل مكان،والقدرة على التواصل مع الفرد مهما كانت انشغالاته،فهذه الوسيلة جعلت الناس يتحدثون مع بعضهم البعض في الطرقات،في المواصلات،وفي أماكن العمل،حتى في المناسبات الخاصة،

فتحولت بذلك شوارع المدن الحديثة والأماكن العامة فيها إلى عوالم وفضاءات يتحدث فيها الناس على الهاتف النقال،كما أن هذه الوسيلة قضت على الكثير من الجوانب الخصوصية للأفراد وجعلتهم محل متابعة أينما حلوا .إلا أن هذه الغوغاء الذكية كان لها جانب مضيء في الحياة الإنسانية،حيث سهلت التواصل بين الأفراد المستخدمين للهاتف النقال، وبالتالي جعلت الكثير من القضايا والمسائل سواء المهنية أو الشخصية تحل عن طريق هذه الوسيلة بدل اللقاءات وجها لوجه،وهي بذلك تكون قد حققت نوعا من الفاعلية والسرعة في الاتصال . ومن جهة ثالثة زعزع استخدامه الكثير من الروابط الأسرية التي كانت من قبل متينة وتحمل قدرا كبيرا من القدسية،إذ تحول إلى وسيلة تجسس بين الأزواج من جهة ،وبين الآباء والأبناء المراهقين والشباب من جهة ثانية،حيث يقدم لهم تفصيلا على كل المكالمات الخارجة والمستقبلة وكل الرسائل الواردة والمرسلة وكل المواد المحملة فيه،مما جعله أشبه بالتقرير المفصل عن كل نشاطات الفرد وسلوكياته خارج البيت وبعيدا عن أفراد أسرته .كما تحول عند البعض إلى وسيلة للتباهي والافتخار وإشعار الآخرين بمستواهم المادي وقدرتهم على امتلاك أثمن الأشياء .وتحول إلى أداة في يد بعض المنحرفين وغير الأسوياء لانتهاك خصوصيات وحرمات الناس عن طريق استخدامه في مهاتفة الناس بالأرقام المخفية ومحاولة توريطهم في علاقات افتراضية مع أشخاص وهميين .أما عند بعض التلاميذ والطلبة فقد استعمل كآداة للغش في الامتحانات باستعمال مختلف خصائصه وتقنياته كما أصبح يستخدم في تحميل الكثير من الصور والمواد المنافية للأخلاق وللدين،مما يشكل خطرا وتهديدا لمنظومتنا الأخلاقية خاصة عند الشباب و المراهقين

ولقد ساهم الهاتف النقال أيضا في تسهيل ونجاح العلاقات العاطفية بين الجنسين،نظرا لطابعه الخصوصي والشخصي،الأمر الذي من شانه أن ينشر بعض السلوكيات غير الشرعية وغير الأخلاقية والتي تهدد قيم وأخلاق المجتمعات العربية.كما برزت بفضله أيضا بعض الظواهر الاجتماعية المرضية التي تمس باستقرار المجتمع ومؤسساته الأولية كالخيانة الزوجية والتمرد على سلطة الأسرة،التمرد على النظام في المؤسسات التربوية.

5ـ المنهج المستخدم :

اعتمدت هذه الدراسة على المنهج الوصفي الذي يعتبر « طريقة يعتمد عليها الباحثون في الحصول على معلومات وافية ودقيقة،تصور الواقع الاجتماعي،والذي يؤثر في كافة الأنشطة الثقافية والسياسية والعلمية، وتسهم في تحليل ظواهره .» (5) كما يقوم المنهج الوصفي على«جمع الحقائق والمعلومات ومقارنتها وتحليلها وتفسيرها للوصول إلى تعميمات مقبولة،أو هو دراسة وتحليل وتفسير الظاهرة من خلال تحديد خصائصها وأبعادها وتوصيف العلاقات بينها....ولا يقتصر المنهج الوصفي على التعرف على معالم الظاهرة وتحديد أسباب وجودها،وإنما يشمل تحليل البيانات وقياسها وتفسيرها والتوصل إلى وصف دقيق للظاهرة ونتائجها .» (6)

6 ـ العينة

في حقل البحوث الاجتماعية من العسير أن يقوم الباحث بدراسة شاملة لجميع المفردات التي تنتمي إلى مجتمع البحث ، ومن هنا « فإن الباحث لا يجد وسيلة أخرى يستطيع الاعتماد عليها سوى الاكتفاء بعدد محدود من الحالات أو المفردات في حدود الوقت والجهد والإمكانيات المتوفرة لديه،ثم يقوم بدراسة هذه الحالات الجزئية،ويحاول تعميم صفاتها على المجتمع الكبير...وتعرف هذه الطريقة بطريقة العينة.» (7)

وبالنسبة للعينة الأولى في هذه الدراسة فلقد جاءت عشوائية بسيطة نتيجة العدد الكبير من مؤسسات التعليم الثانوي والمقدر كما ذكرنا من قبل ب55 ثانوية .لذلك تم تحديد نسبة 25٪ لاختيارها من إجمالي الثانويات . وبعد حساب عدد الثانويات التي سوف تشملها الدراسة الميدانية كما يلي: 55×25/ 100= 13.75 = 14

بعدها تمت عملية اختيار أسماء الثانويات عن طريق القرعة،بكتابة أسماء كل الثانويات على أوراق صغيرة،ثم خلط هذه الأوراق وبعدها سحب أسماء الثانويات التي اختارتها القرعة،فتم اختيار حوالي 14 ثانوية.أما عن المرحلة الثانية وهي مرحلة اختيار حجم

عينة التلاميذ من مجموع تلاميذ الثانويات المختارة،حيث اخترنا أن تكون العينة طبقية تناسبية حيث« يسحب من كل طبقة عددا يتناسب مع حجمها الأَصلي،فالطبقة الكبيرة العدد تسحب منها عينة أكبر من العينة التي تسحب من طبقة تكون وحداتها أقل.وهكذا بالنسبة لباقي الطبقات الأخرى. فالإختيار التناسبي أو المتناسب هو الذي يتماشى مع توزيع مفردات كل طبقة.....ولهذا فإن النسبة المئوية تتباين تبعا لذلك .» (8)وهكذا توصلنا غل عينة تقدر ب450 تلميذا مراهقا في مرحلة التعليم الثانوي .

7ـ خصائص العينة:

ـ أغلب أفراد العينة والمقدرة نسبتهم ب 78 ٪ تتراوح أعمارهم بين 15 سنة و 18 سنة، حيث تشكل نسبة أفراد العينة المتمركزة بين سني 15ـ16.99 سنة 11.33٪ ونسبة الأفراد بين 17ـ 18.99 سنة 66.66٪ وكلتا النسبتين تندرج تحت المرحلة العمرية التي تمثل أوج المراهقة الوسطى والتي تتميز بكونها ـ وحسب المختصين ـ المرحلة الأكثر عصفا في حياة المراهق،لأنها مرحلة البحث عن التحرر من كل القيود المفروضة،ومرحلة البحث عن الذات ومحاولة اكتشافها،وذلك بممارسة الكثير من الأفعال والأنشطة التي تعد في نظره فرضا لحريته واستقلاليته،كما أن نسبة أفراد العينة التي تفوق سن 19 سنة تقدر ب 22.00 ٪ وهي نسبة تعبر عن الفئة الأكثر تقدما في مراحل النمو النفسي والجسمي والعقلي للمراهق ،إذ تنتمي هذه الفئة إلى مرحلة المراهقة المتأخرة وفيها يصبح المراهق إنسانا راشدا مظهرا وسلوكا.كما أنها مرحلة التحول إلى الرشد واتخاذ القرارات . حيث يدرك المراهق فيها استقلاليته الحقيقية.ويحقق ثقته بنفسه وبالآخرين،كما يظهر لديه الميل إلى الاكتشاف وخاصة في الأمور العلمية،وممارسة النشاطات الرياضية والترفيهية والاجتماعية ومن هنا نستنتج أنه من خصائص عينتنا أنها تشمل مرحلتين من مراحل المراهقة ،وهما المرحلة الوسطى والمتأخرة ، لأن مرحلة تمدرس المراهق في التعليم الثانوي تتزامن معهما،كما أنهما مرحلتا النشاط والتفتق الذهني والصراع النفسي والاجتماعي . وهذا ما تتطلبه دراستنا .

ـ نسبةالإناث في العينة أكبر من نسبة الذكور،حيث قدرت نسبتهن٪63.33 مقابل 36.66 ٪ لدى الذكور،ولعل هذه النسبة تعبر عن الكثير من الحقائق الاجتماعية والتربوية .فعلى الصعيد التربوي ومنذ سنوات خلت والنظام التربوي الجزائري يعرف تفوقا في نسب النجاح في مختلف الامتحانات الرسمية للإناث على الذكور،سواء من حيث الكم أو الكيف،وهذا ما يجعل تعداد الإناث يكون دائما اكبر من تعداد الذكور في مؤسسات التعليم الثانوي خاصة،لأن البنات يتفوقن بنسب النجاح في امتحان شهادة التعليم المتوسط .

وفي الجانب الاجتماعي،ومنذ سنوات خلت نلاحظ وجود ظاهرتين على طرفي نقيض،فالظاهرة الأولى هي نزوع الإناث إلى الدراسة والتفوق والنجاح،و بالتالي سيطرتهن على كثير من المناصب المهنية والعلمية ،لفرض أنفسهن والتخلص من كثير من الممارسات الاجتماعية ، ويمكن أن نرجع جذور هذه الظاهرة إلى السياق الثقافي للمجتمع الجزائري الذي يعلي من قيمة الرجل حتى ولو كان فاشلا ،ويحتقر المرأة بل وينظر إليها بنوع من الدونية حتى لو حققت أكبر النجاحات.ورغم التطور الذي يشهده المجتمع الجزائري،ورغم اتساع مشاركة المرأة في مختلف المجالات الاقتصادية والسياسية خاصة،إلا أن هذه النظرة الدونية تبقى مرتبطة بالتقاليد والدين في بعض الأحيان.كما يشكل عزوف الذكور عن الدراسة والنجاح والتفوق واحتلال المناصب القيادية ظاهرة مناقضة ،وذلك بسبب سيطرة قيم الربح السريع وطغيان المادة ،وحب المظاهر عليهم،وتقهقر قيم العلم والتفوق والنجاح لأنها لم تعد تحقق مكاسب مادية كبرى.ويؤكد الأستاذ عبد الرحمان عزي على ذلك موضحا أن القيم أصبحت مادية حيث يقيم الأفراد بما يملكون ماديا ومن ثم تغير ما يسميه مالك بن نبي " الجو" العام السائد في المجتمع إلى جو مادي مما أضعف وهمش الجوانب الثرية في الرأسمال الاجتماعي من ثقافة وعلم وآداب وتاريخ وبالأخص الرأسمال القيمي كما يسميه .ولهذا السبب أصبحنا نرى في مؤسساتنا التربوية وخاصة في مرحلة التعليم الثانوي زيادة في تعداد الإناث على الذكور

ـــ تشكل نسبة التلاميذ المتمدرسين بالسنة الثانية ثانوي أكبر نسبة في العينة ،حيث قدرت ب 39.11٪ ،تليها نسبة تلاميذ السنة الأولى ثانوي والمقدرة ب 32٪ ،وأخيرا تلاميذ الأقسام النهائية ب 28.88٪

وتشكل هذه النتائج توافقا مع النتائج الخاصة بالسن حيث أن الفئة العمرية التي تتمركز فيها أوج المراهقة هي تكون دائما فئة المرحلة الثانوية من الدراسة ، خاصة السنة الثانية والثالثة ثانوي .كذلك نلاحظ أن أفراد العينة يملكون مستوى تعليميا يسمح لهم باستغلال هذه الوسيلة والتحكم في مختلف تقنياتهاوتمرير الرسائل عبرها والقدرة على فهم الرسائل والمضامين التي تحملها وتنقلها وتفسيرها وتأويلها.

8ـــ الاستمارة :

وهي من أهم أدوات جمع البيانات وأكثرها شيوعا واستخداما في أوساط الباحثين في العلوم لاجتماعية والإنسانية،مهما كان نوع البحث الميداني سواء كان وصفيا أوتاريخيا،استكشافيا أو سببيا.وتعرف بأنها « أداة علمية تبنى وفق مراحل علمية تكتسب عبرها صدقها وثباتها،وتشتمل بنودها على إمكانية قياس فرضيات البحث وتحديد العلاقات بين المتغيرات .» (9) كما أنها تشمل أيضا«مجموعة من الأسئلة والاستفسارات المتنوعة، والمرتبطة بعضها بالبعض الآخر بشكل يحقق الهدف،أو الأهداف التي يسعى إليها الباحث بضوء موضوعه والمشكلة التي اختارها لبحثه.» (10)

فالاستمارة إذن تهدف إلى معرفة اتجاهات ونوايا ودوافع مفردات العينة حول موضوع معين وبالتالي الحصول على البيانات التي تتفق مع أهداف البحث

ولقد شملت استمارة هذه الدراسة عدة محاور تحاول التعرف على مدى ملكية واستخدام الهاتف النقال من طرف المراهقين ، وكذا آثار هذا الاستخدام على سلوكياتهم الاجتماعية.

9 ـــ عرض ومناقشة نتائج الدراسة :

ـــ بالنسبة لملكية المراهق لوسيلة الهاتف النقال،أكدت نسبة 86.4 ٪ من أفراد العينة أنها تملك هذه الوسيلة الاتصالية التي يحبذها ويقبل على اقتنائها الكثير من الشباب والمراهقين،بينما أكدت نسبة 13.60٪ عدم ملكيتها لها . هذا يدل على أن هذه الوسيلة وباعتبارها من أحدث وسائل الاتصال ينظر إليها وخاصة من طرف المراهقين على أنها وسيلة ضرورية لتسهيل قضاء الكثير من الحاجات،وتحقيق التواصل الفعال والسريع،وفي مختلف المجالات الاجتماعية والخاصة.كما أن ملكيتها في نظرهم وفق ثقافتهم الفرعية يحمل الكثير من المعاني والتعبيرات،فهو يعطيهم الفرصة للاستقلالية عن سيطرة الأهل ومراقبة تصرفاتهم وحركاتهم وسكناتهم،ويعزز ثقتهم بأنفسهم أمام أقرانهم،ويحقق لهم مكانة معتبرة وسط هؤلاء الأقران .

ـــ نلاحظ أن الأغلبية من المبحوثين تمتلك هواتف نقالة ذات طراز متطور،تتوفر على الكثير من الخدمات الإلكترونية التي يستغلها المراهقون في عدة مجالات،كالتواصل مع أقرانهم،بإرسال واستقبال مختلف المواد،فبالنسبة لتقنية البلوتوث أجابت نسبة 86.11 ٪منهم أن هواتفهم النقالة تتوفر بها هذه الخدمة،كما أن نسبة 84.31 ٪ تتوفر لديها تقنية mp3،ونسبة 84.06٪يتوفر بهواتفها مذياع،في حين آن نسبة 80.97 ٪ تتوفر بها الألعاب الإلكترونية ،بينما تنخفض نسبة المراهقين الذين تتوفر أجهزة هواتفهم النقالة على شبكة إنترنت إلى 65.55 ٪، وتزداد نسبة أولئك الذين يمتلكون جهاز تلفاز انخفاضا لتصل إلى 33.41 ٪ .

ومن هنا نستنتج أن المراهق الجزائري على متابعة بكل التطورات التقنية التي تطرأ على وسائل الاتصال الحديثة،فهو يسعى دائما إلى اقتناء وامتلاك أحدثها وأكثرها تنوعا في الخدمات،وبالتالي ينعكس ذلك على قدرته على استغلالها وفي جميع المجالات،وفي أي وقت،حيث قد يستخدمها في البيت أو خارجه او في المدرسة،للتواصل وتبادل واستقبال مختلف المواد والصور والرسائل،وفي متابعة الأخبار والتطورات،وفي البحث عن المعلومة المناسبة في أي وقت،وبالتالي تدمج الوسيلة الواحدة في مجموعة وسائل تلبي له إشباعاته وحاجاته،وتعرضه إلى سهولة التأثير الإجتماعي .

ـــ يتفق حوالي نصف أفراد العينة 49.6٪ على أن امتلاك واستخدام الهاتف النقال يعطيهم قيمة وأهمية اجتماعية كبرى في محيطهم الاجتماعي،بينما ترى نسبة 28.4٪ عكس ذلك،مما يؤكد الأهمية الاجتماعية للهاتف النقال في نظر أفراد العينة وسيطرة القيم المادية على نسبة معتبرة من أفراد العينة من المراهقين ،إذ يعتبرون أن ملكية واستخدام الهاتف النقال خاصة أمام أقرانهم أو محيطهم الاجتماعي الواسع يحقق لهم الكثير من الحاجات و الإشباعات، كالحاجة إلى تقدير الذات وتقدير الآخرين لهم ،وهي تعد من الحاجات الأساسية في مرحلة المراهقة وهكذا تتحول القيم التي تعزز تقدير الذات وتقدير الآخرين عند المراهق إلى قيم مادية صرفة يحكمها مبدأ ماذا يملك ؟وماذا يلبس ؟وماذا يركب ؟ وليس كيف يفكر؟ وماذا ينتج ؟ وكيف يتصرف ؟، ولعل ما نشاهده اليوم من سلوكيات منتشرة بين أبنائنا المراهقين خير دليل على ذلك،إذ تحول التلميذ النجيب والمتميز و الملتزم في المؤسسات التربوية إلى نموذج للضعف والتخلف وأصبح النموذج المفضل ذلك المراهق المتمرد الذي يفرض منطقه على الكل دون اعتبار لأي أحد ،هذا النموذج يرتدي أفخر الألبسة ويملك احدث الوسائل التكنولوجية .ومن هنا فإننا نخلص إلى أن وسيلة الهاتف النقال عززت من القيم المادية الاستهلاكية لدى المراهق وحلت هذه القيم محل قيم أصيلة ومنتجة ،إذ أن سيطرة هذه القيم المادية على الناشئة من شانها أن يحول القيم الأصيلة والمنتجة إلى قيم معطلة تساهم في تقهقر المجتمع

ـــأجابت نسبة 58.20٪ من أفراد العينة أن استعمال الهاتف النقال يعطيها فسحة من الحرية والخصوصية في تصرفاتها،في الاتصال والتواصل مع أي شخص وفي أي وقت دون تدخل أو رقابة من أحد ودون الإطلاع على فحوى المحادثات الدائرة عبر هذه الوسيلة،كما آن الخدمات التي تقدمها شركات الهاتف النقال من مكالمات مجانية طيلة فترات زمنية مطولة تساهم في تكريس وتعزيز هذه الخصوصية والحرية.

نتوصل إذن من خلال ذلك أن علاقة المراهق بالهاتف النقال كوسيلة اتصالية جديدة مازالت في مرحلة الانبهار والانتشار، خاصة مع التطورات المتلاحقة التي تعرفها هذه الوسيلة وفي مختلف الأجيال المتواترة ،مما جعلها تتحول في يد المراهق إلى أداة لإشباع حاجاته المختلفة وتعزيز الكثير من القيم وتحييد وإضعاف قيم أخرى. فهي تحقق له الحاجة إلى الحرية الشخصية و توفر له قدرا من الخصوصية والحرية الشخصية والتنصل من الأوامر و الضوابط والرقابة من طرف الأهل والراشدين، وتمنحه الفرص العديدة للاتصالات مع من يريد وفي أي وقت سواء بالمكالمات أو عن طريق الرسائل القصيرة .

ـــ أجابت نسبة 61.6٪من المبحوثين أنها تخفي في بعض الأحيان عن أوليائها المواد والصور التي تحملها في هواتفها النقالة،بينما نفت نسبة 33.8٪ مما يؤكد كثرة تعاطي المراهقين مع هذه المواقف في الواقع تؤكد وقائع كثيرة بدأنا نشهدها في واقعنا الاجتماعي سواء على مستوى الأسرة أو المؤسسات التربوية،حيث يحمل الكثير من المراهقين صورا ومواد إباحية وغير أخلاقية في هواتفهم النقالة ويتداولونها فيما بينهم بكثير من السرية،ويحاولون إخفاءها عن أوليائهم وأساتذتهم .هذه المواد والصور تشكل تهديدا وإضعافا لقيم العفة والالتزام الأخلاقي،إذ تنتشر بين المراهقين وتتحول إلى شكل من أشكال الثقافة الفرعية التي يتأثرون بها، وتترسخ في شخصيتهم.فتظهر لدى هذه الفئة من المراهقين حالة من اللامعيارية والصراع القيمي بين النموذج الأصيل الذي يتشربونه من مؤسسات المجتمع،وبين النموذج الوافد الذي فتح أمامهم الأبواب على كل المحرمات والممنوعات واخترق كل الضوابط. فيصبح المراهق ساحة لكثير من الصراعات تسيطر عليه كالإحساس بالذنب نتيجة لما يحمله من مواد وصور يرغب في الإطلاع عليها لكن مجتمعه ومنظومته القيمية تمنعه وتجرمه إذا ما فعل ذلك .والمجتمعات العربية إلى حد اليوم مازالت لم تتوصل إلى وضع قواعد ومبادئ للتربية الجنسية للمراهقين،والتي تنظم وفقا لمبادئ الإسلام الحنيف .

ـــ تؤكد نسبة 48.7٪من المبحوثين الذين يخفون عن أوليائهم الصور والمواد التي يحملونها على هواتفهم النقالة أن السبب في ذلك يعود إلى كون هذه المواد غير أخلاقية،ولا يسمح بتداولها في مجتمعنا ذي الإطار الثقافي والحضاري الإسلامي.وهذا يؤكد ما تطرقنا إليه في السابق من أن الهاتف النقال تحول إلى وسيلة في يد المراهقين يحملون فيها مواد غير أخلاقية ويتداولونها فيما بينهم،بل أحيانا

يتباهون بذلك تحت غطاء الحرية والتفتح ليثبتوا لأنفسهم أنهم أصبحوا من عالم الراشدين يفعلون ما يشاءون دون حسيب أو رقيب.وهكذا تؤكد النتائج الأثر السلبي للهاتف النقال على قيم العفة والالتزام الأخلاقي لدى المراهقين.

ـــ أجابت نسبة 67.9 ٪ من المراهقين الذين يخفون عن أوليائهم المواد لتي يحملونها في هواتفهم النقالة أن سبب الإخفاء يعود إلى أن هذه المواد تحمل طابع الخصوصية التي لا يحق لأحد مهما كان الإطلاع عليها،وهنا نتساءل عن أبعاد الخصوصية عند المراهق الذي يخفي عن أوليائه مواد موجودة في هاتفه النقال .خوفا من اللوم أو العقاب أو الحرمان من هذه الوسيلة .فالخصوصية وهي من الحاجات الأساسية في هذه المرحلة الحرجة ، تتمثل في وجود مواد أو صور أو رسائل ....الخ من أشخاص من الجنس الآخر يفضل المراهق عدم إطلاع الأولياء عليها لأنه يعرف مسبقا برد فعلهم نحو هذا النوع من العلاقات.

ـــ أجابت نسبة 85.10٪ من المبحوثين على ان الهاتف النقال يساعد على التواصل السهل والسريع مع الأهل،خاصة في ظل التطورات المعاصرة التي تشهدها الأسرة الجزائرية سواء في بنيتها ووظائفها ،ففي ظل الأسرة النووية الحديثة التي يتواجد كل أعضائها خارج البيت طوال اليوم تحولت وسيلة الهاتف النقال إلى همزة الوصل بين الأبناء والآباء للاطمئنان والتواصل وتوصيل مختلف الرسائل،فدعمت هذه الوسيلة قيم التواصل الأسري وساهمت في تمتين العلاقات بين أعضاء الأسرة حتى وإن كانوا غير متواجدين مع بعضهم البعض طوال الوقت.

ـــ تؤكد نسبة 56.7 ٪ من المبحوثين على أنه لم يسبق لها استخدام الهاتف النقال في المدرسة،وتحت أي ظرف من الظروف مما يعد تعزيزا لقيم الامتثال واحترام النظام العام والالتزام الأخلاقي،حيث يمنع منعا باتا استعمال وإظهار الهاتف النقال داخل حرم المؤسسة التربوية ،إلا أنه مع ذلك برزت نسبة 43.3٪ من المبحوثين لتؤكد انه سبق لها أن استعملته داخل المدرسة مما يقودنا إلى استنتاج سيطرة هذه الوسيلة على كل جوانب الحياة الاجتماعية للمراهق بما فيها الحياة المدرسية .

ـــ أجابت نسبة 60 ٪ من المبحوثين الذين استعملوا هواتفهم النقالة داخل المؤسسات التربوية إلى أن استعمالها له كان في حالات الغش في الامتحان،بينما استعملته نسبة 51.28٪ في إزعاج الأستاذ أثنا إلقائه للدرس ومن ثم عرقلة سير الدرس والعملية التربوية برمتها، وعبرت نسبة 41.53٪عن استعمالها له في تصوير الزملاء والأساتذة دون علمهم، وأخيرا استعملته نسبة 31.79٪ في تداول صور ومواد منافية للأخلاق والقيم.وهكذا تحولت مؤسساتنا التربوية إلى مرتع لبعض المظاهر أللأخلاقية يمارسها التلاميذ المراهقون باستعمال هواتفهم النقالة رغم وضوح مختلف القوانين والتشريعات المدرسية التي تمنع استعماله داخل المؤسسة التربوية .ومن ثم تعبر النتائج المتوصل إليها على وجود آثار سلبية لاستعمال الهاتف النقال على قيم الصدق والالتزام الأخلاقي واحترام القانون والعفة.ورغم أن النسب المعبرة عن هذه الآثار السلبية ضئيلة إلا أنها تعد بوادر يجب التصدي لها ومواجهتها بحزم.

10ـــ التوصيات والاقتراحات :

ـــ وجوب تفعيل الدور الحيوي للقائمين على تنشئة المراهقين اجتماعيا ،سواء في الأسرة من خلال المراقبة الواعية لاستخدامات البناء لمختلف وسائل الاتصال الحديثة وخاصة الهاتف النقال ، أو في المدرسة بسن التشريعات وتعميم السلوكات التي تقنن وتقيد استخداماته غير الأخلاقية .

ـــ فتح المجال للمناقشة مع المراهقين عن المخاطر والآثار السلبية التي يمكن أن تصاحب بعض الاستخدامات غير الواعية للهاتف النقال سواء على الفرد والجماعة معا .

الخاتمة : على العموم برزت الكثير من التأثيرات الإيجابية لاستخدام الهاتف النقال من طرف المراهقين ، حيث ساهم في تعزيز التواصل مع الأهل والأصدقاء ، وطور الكثير من المهارات الفكرية والتقنية لديهم ، إلا أنه بالمقابل أوجد الكثير من الممارسات التي من شأنها أن تؤثر في تنشئتهم تنشئة اجتماعية سليمة ومتوافقة مع إطارهم الثقافي والحضاري ،حيث تحولت هذه الأداة اليوم في يد المراهقين إلى وسيلة لتعزيز القيم المادية الاستهلاكية ، ونشر الرذيلة والفساد باستعمالها ي تداول المواد المنافية للأخلاق و الغش في الامتحانات ... الخ مما يستوجب رقابة أسرية وتربوية وسن تشريعات للحد من هذه التأثيرات السلبية .

الهوامش:

1ـــــ عبيدة صبطي وفؤاد شعبان ، تاريخ وسائل الاتصال وتكنولوجياته الحديثة ،الجزائر ، دار الخلدونية ،2012 ، ص 149

2ـــ محمدعاطف غيث ، قاموس علم الاجتماع ، الإسكندرية دار المعرفة الجامعية . 2002 ، ص 18 .

3ـــ هارون منصر ، تكنولوجيا الاتصال الحديثة ، المسائل النظرية والتطبيقية ، قسنطينة ، دار الألمعية للنشر والتوزيع ، 2012، ص 36

4ـــ اسا برغر، بيتر بروك ، التاريخ الإجتماعي للوسائط .من غتنبرغ إلى الإنترنت .تر مصطفى محمد قاسم . عالم المعرفة 2005ص 124 .

5ـــعامرقنديلجي،البحث العلمي واستخدام مصادر المعلومات،عمان، داراليازوري للنشر والتوزيع،1999 ، ص 105.

6ـــ ماتيو جيدير، منهجية البحث العلمي ، (تر) ملكة أبيض، ص101.

7ـــ ناريمان يونس لهلوب ، استراتيجية البحث الإجتماعي ،عمان ،دار أسامة للنشر،2011 ،ص 328

8ـــ عليغربي،أبجديات المنهجية في كتابة الرسائل الجامعية، قسنطينة،مخبر علم اجتماع الاتصال،2009 ، ص134

9ـــصالح بن نوار،مبادئ في منهجية العلوم الاجتماعية والإنسانية،قسنطينة ، جامعة منتوري،مخبر علم اجتماع الاتصال للبحث والترجمة، 2012،ص 198.

10ـــ عامرقنديلجي ، مرجع سابق ،ص157 .